الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه

بقلم:
الدكتور بسام داود عجك
عميد كلية الدعوة الإسلامية بدمشق
عضو المجلس العالمي للدعوة الإسلامية

صفحة أبيض

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص محاضرة

تتكلم المحاضرة بداية عن مصطلح الحوار؛ من خلال تعريفه اللغوي والاصطلاحي، ومواضع ذكره في القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الجدل والنقاش، ودعوة القرآن الكريم إلى الحوار.

حيث يظهر أن الحوار مشتق في اللغة من الرجوع والمراجعة والرد. وفي اصطلاح الدارسين والباحثين: (الحوار محادثة بين شخصين أو طرفين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصّة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر).

وتتحدث المحاضرة بعد ذلك عن العناصر الواجب توفرها في قضية الحوار بشكل عام، وهي:

أولاً: شخصية الطرف المسلم المحاور، وما يجب أن تمتلكه من الإيمان العميق بمبادئ الإسلام وأهدافه، ومن العلم الواسع بالإسلام وأحكامه وبعقائد الآخرين من غير المسلمين وأفكارهم، ومن الحكمة الشاملة، والحرية الفكرية.

ثانياً: شخصية الطرف الآخر المحاوَر، وما يجب أن يتوفر فيه من الرغبة الواضحة في الوصول إلى الحق والاعتراف به إذا ظهر، والإذعان له. وذلك خوفاً من الدخول في الجدل العقيم.

ثالثاً: إيجاد المناخ الهادئ للتفكير المستقل، بالابتعاد عن كل المؤثرات الداخلية والخارجية وبخاصة الانفعالات التي قد يحملها أحد الأطراف تجاه الطرف الآخر.

رابعاً: العلم بموضوعات الحوار.

ثم تنتقل المحاضرة للحديث عن مبادئ الحوار الإسلامي مع غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة فتقرر المبادئ الآتية:

١- الدعوة إلى الله تعالى.

٢- سبيل الدعوة إلى الله تعالى هو الحكمة والموعظة الحسنة. من خلال أ- الحوار بالتي هي أحسن، واعتماد العقل والتفكير السليمَين، والتجرد عن الحكام المسبقة، ومواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره، وعدم إثارة الطرف الآخر.

٣- عدم الإكراه مطلقاً.

٤- مبدأ الإعراض والصبر والتحمل.

٥- مبدأ التعايش السلمي.

مع التأكيد على أن هذه المبادئ لا تعني مطلقاً التوقف عن الدعوة إلى الله وعرض الإسلام والحث على الإيمان به، ولا تعني مطلقاً توقف عملية الدفاع عن الإسلام ومحاربة الشبه والافتراءات التي يطلقها الطرف الآخر، ولا تعني أيضاً عدم الوقوف بحزم في وجه أخطاء الطرف الآخر عندما ظهور رغبته في رفض التعايش واندفاعه إلى محاربة الإسلام.

أما أهداف الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وهي آخر مباحث هذه المحاضرة فتتلخص في النقاط الآتية:

١- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين تطبيق لمبدأ جهاد الدعوة إلى الله تعالى، حيث إنه جهاد باللسان والقلم.

٢- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة في مواجهة الحملات التنصيرية، حيث تظهر الزيف الذي تروج له تلك الحملات.

٣- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة لأن يلتقي المسلمون وغير المسلمين في البلد الواحد لمواجهة العدو المشترك.

٤- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة لمنع حدوث الفتن الطائفية.

٥- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة لإظهار حقائق الإسلام ومحو صورته المشوهة، بدحض الافتراءات الشائعة عند غير المسلمين.

ويأتي ختام المحاضرة بالتحذير من الانجرار إلى الجدالات العقيمة في الأمور العقدية والمتخصصة على الملأ، لئلا يجر تشدد كل طرف لمعتقده إلى تعصبات البسطاء مما سينتج عنه غوغائية لا تحمد عقباها.

كذلك أكدت المحاضرة في ختامها على ضرورة الحوار واللقاء مع الآخر لأن هناك كثيراً من التحديات المشتركة التي تواجهنا مسلمين وغير مسلمين كالفساد الأخلاقي، والحفاظ على البيئة، ومكافحة البطالة والفقر، ومكافحة الجهل، والفتن الطائفية، وحروب الإبادة، وخطر العولمة، وغيرها. وهذه قضايا يجب أن تتضافر فيها جهود الإنسانية بشتى مشاربها لتجنب ويلاتها.

صفحة أبيض

الحوار في الكتاب والسنة مبادئه وأهدافه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وهادينا سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبع هداهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

بدايةً أشكر المولى تبارك وتعالى على أن هيأ لنا هذا اللقاء الطيب الكريم، ثم أمتثل وصية النبي الكريم ﷺ بقوله: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1]. فأثني بالشكر لرابطة العالم الإسلامي على جهودها ومواقفها خدمةً للإسلام والمسلمين، متمثلةً في شخص أمينها العام سعادة الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي حفظه الله تعالى، سائلاً المولى الكريم أن يديم الخير على أياديكم إنه سميع مجيب.

إن الحديث عن الحوار في الكتاب والسنة من حيث المبادئ والأهداف لابد له أن يمر أولاً ببيان سبب استخدام كلمة الحوار في القرآن الكريم واستخدام كلمة الجدال والفرق بينهما ولماذا نستخدم في عصرنا الحاضر كلمة الحوار مع غير المسلمين بدلاً من استخدامنا كلمة الجدال.

فالحوار: مشتق في اللغة من الرجوع والمراجعة والرد[2]. وفي اصطلاح الدارسين والباحثين: (الحوار محادثة بين شخصين أو طرفين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصّة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر)[3]. وقد استخدم هنا مصطلح الحوار ولم يستخدم مصطلح المناظرة لأنها تعتمد على الصرامة العلمية، والقواعد

---

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٣٩/٤).
(٢) انظر لسان العرب (٣٨٣/٣).
(٣) انظر الحوار الإسلامي المسيحي (ص١٤).

المنطقية[٤]، أكثر من الحوار الذي هو أليق في التعبير والأسلوب.

واستخدم مصطلح الحوار ولم يستخدم مصطلح النقاش لأن المناقشة تعني في اللغة : شدة المحاسبة، والاستقصاء في جمع الأخطاء، ومنها الحديث قوله ﷺ: «من نوقش الحساب هلك»[١].

واستخدم مصطلح الحوار ولم يستخدم مصطلح الجدال لأن الجدال في اللغة هو شدة الخصومة[٢].

الحوار والجدال في القرآن الكريم

وردت كلمة الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع:

١- في سورة الكهف: الآية (٣٤): ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً**﴾.

٢- في سورة الكهف الآية (٣٧): ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾.

٣- وفي سورة المجادلة الآية (١): ﴿**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾.

فهنا يلاحظ أن حديث المرأة عن زوجها كان حديث خصومة، لذلك كان التعبير وقتها بالجدال (تجادلك)، ولكن عندما بدأ الحديث بينها وبين النبي ﷺ كان الحديث مراجعة الكلام، فكان التعبير حينئذ بالحوار (تحاوركما).

أما كلمة (جدال) فقد وردت في القرآن الكريم في تسعة وعشرين موضعاً والمتتبع لمواضع هذه الكلمة يجد أن غالبيتها ترد في سياق عدم الرضا عنه، أو عدم جدواه.

ولعل كثرة ورود كلمة (جدال) في القرآن الكريم أكثر من كلمة حوار تشير إلى أن المسلمين الأُول في زمن نزول الوحي كانوا يعيشون في بيئة كلها

---

(١) رواه البخاري (٣٠/١).

(٢) انظر لسان العرب (٢١٢/٢). وانظر القاموس المحيط (٣٤٧/٣).

خصومة، وفيها جميع أنواع العداء والتحديات العقائدية والفكرية والاجتماعية وكان لا بد من الدفاع عن الإسلام بشكل حازم وقوي فاستخدمت كلمة جدال لتعبر عن ذلك المناخ الضبابي الذي خيّم على زمن نزول القرآن وتكامل الإسلام.

ونحن نرغب بكلمة (حوار) أكثر من كلمة (جدال) للأسباب التالية:

أولاً: لفظ الجدال في اللغة العربية يأتي دائماً ليعبر عن مواقف الخصومة والعناد والتحدي على حين يعني الحوار مراجعة الكلام فقط لتبين وجه الحق والصواب.

ثانياً: كلمة (جدال) أخذت عبر التاريخ مدلولاً خاصاً وهو مدلول الكلام العقيم الذي يراد منه إفحام الخصم وإسكاته والوقوف على الصناعة الكلامية المنمقة دون البحث في الجوهر والأصل. ويأتي تعريف الجرجاني ليوضح هذا الجانب بقوله (الجدال هو القياس المؤلَف من المشورات والمسلّمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان وهو الخصومة في الحقيقة)[1].

ونحن لا نريد من خلال الحوار إفحام الآخرين وإسكاتهم بل نريد الوصول معهم من خلال الحوار إلى حقائق الإسلام، وأهداف القرآن بالعلم والحكمة والكلمة الطيبة.

دعوة القرآن الكريم إلى الحوار

القرآن الكريم هو كتاب الحوار فلقد طالب أتباعه في كل وقت وحين أن يؤدي كل فرد دوره الفاعل في إيصال كلمة الحق إلى جميع البشر وعلى مختلف مستوياتهم واتجاهاتهم.

وكان شكل الحوار في القرآن الكريم من حيث كونه مراجعة الكلام بين طرفين، قد أخذ المسافة الأوسع من صفحات هذا الكتاب الكريم، وإن لم

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص٧٨).

تستخدم كلمة (الحوار)، وإنما استُخدمت مادة (القول)، التي وردت في (١٧٢١) موضعاً[١]، والملفت للنظر هنا أن كل كلمة تكلم بها الآخرون رد عليها القرآن الكريم وطالب النبي ﷺ بأن يرد على كل فكرة عرضوها، فكل كلمة (قالوا) في القرآن الكريم يوجد مقابلها كلمة (قل)، هم (قالوا) وأنت يارسول الله (قل)، وقد وردت كلمة قالوا في القرآن (٣٣٢) مرة، وكلمة (قل) بالعدد نفسه تماماً.

وقصص القرآن الكريم عن الأنبياء وأقوالهم إنما هي في الحقيقة حوارات أنموذجية أمام المسلم الداعية في كل زمان ومكان ليتعلم منها كيف يحاور الآخرين موضحاً مبدأه راداً على كل شبهة تعارضه مفنّداً كل ادعاءٍ مخالف لدينه.

العناصر الواجب توفرها في قضية الحوار بشكل عام

يجب أن يعيش الحوار في مناخ واضح الملامح، هادف في قضاياه المعروضة، بعيد عن المؤثرات النفسية أو الخارجية، منضبط في كل مراحله.

وهذا لا يمكن أن يتوفر دون العناصر التالية:

أولاً- شخصية الطرف المسلم المحاوِر: ويجب أن تمتلك الشخصية المسلمة المحاوِرة الصفات التالية:

١- الإيمان العميق بمبادئ الإسلام وأهدافه.

٢- العلم الواسع بالإسلام وأحكامه وبعقائد وأفكار الآخرين من غير المسلمين.

٣- الحكمة الشاملة.

٤- الحرية الفكرية.

ولا بد من توضيح النقطتين الأخيرتين لأهميتهما وهما الحكمة الشاملة والحرية الفكرية.

---

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص (٥٥٤) وما بعدها.

- الحكمة الشاملة: ورد موضوع الحكمة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وورد بلفظ الحكمة في عشرين موضعاً[1] .من ذلك قول الله تعالى: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [**البقرة** : ٢٦٩].

وقد ذكر الله تعالى في كتابه بعض نعمه على بعض عباده، فاختص من بين نعمه التي ذكرها نعمة النبوة والرسالة ونعمة الحكمة، قال تعالى: ﴿ **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا** ﴾ [**النساء** : ٥٤].

ومن بين الذين اختصهم الله تعالى بالحكمة نبيه داود عليه السلام قال الله تعالى: ﴿ **وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ** ﴾ [**ص** : ٢٠].

وأيضاً نبي الله عيسى عليه السلام أكرمه الله بالحكمة، قال تعالى: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [**الزخرف** : ٦٣].

ومن بين عباد الله الصالحين الذين اختصهم الله بالحكمة لقمان الحكيم، قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [**لقمان** : ١٢].

وكانت الحكمة إحدى المهمات الأربع الرئيسة التي حملها رسول الله ﷺ إلى أمته وهي:

١- تبليغ كتاب الله تعالى ودعوة الناس إليه.

٢- تزكية النفوس وتطهيرها من آثامها.

٣- تعليم أحكام القرآن الكريم وشرحها.

٤- تعليم الحكمة.

وقد وردت هذه المهمات في أربعة مواضع في القرآن الكريم اثنان منهم

---

(١) انظر المعجم المفهر لألفاظ القرآن الكريم ص ٢١٣.

في سورة البقرة وواحد في سورة آل عمران وواحد في سورة الجمعة.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقد رسم الله تعالى لرسوله ﷺ أسلوب الدعوة إليه تعالى، فكان أحد أركان هذا الأسلوب: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة.

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وتُعرَّف الحكمة بأنها: العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود، بقدر الطاقة البشرية، ثم العمل بمقتضاها وهي تقسم إلى: حكمة عملية وحكمة نظرية(١).

ولذلك اعتبر العلماء - وبخاصة المفسرون- الحكمة هي سنة النبي ﷺ من حيث أقواله وأفعاله وتقريراته(٢).

وقد سميت السنة النبوية بالحكمة لأن الحكمة تشتمل على: سداد القول، وصواب العمل، وإيقاع ذلك في مواقعه ووضعه في مواضعه اللائقة. ولا شك أن أقواله ﷺ وأفعاله وأحواله وإقراراته، جميع ذلك هو عين الحكمة(٣).

والذي يتعلق هنا بشخصية الطرف المسلم المحاور، أن يكون ذلك المسلم على المستوى اللائق من الحكمة بمفهومها الشامل حيث يعلم حق العلم ما هو مقدم عليه في حواره مع غير المسلمين، ويسلك إلى ذلك الحوار أفضل السبل التي يراها كفيلة بإيصال دعوة الله تعالى إليهم على حقيقتها، وجمالها محاولاً عدم تنفيرهم منها، مستهدياً في ذلك خُطا النبي ﷺ في

---

(١) انظر كتاب التعريفات ص٩٦، وتفسير التحرير والتنوير (١٤/٤٢٧).
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (١/٥٥٤).
(٣) انظر كتاب سيدنا محمد رسول الله ﷺ ص٩٨.

حكمته الشاملة التي استطاع بها ﷺ أن يأخذ بقلوب وعقول من التفاهم من البشر إلى طريق الإسلام والإيمان.

- أما الحرية الفكرية: مع وجود الثقة بها فلا يمكن أن يكون المحاور واقعاً تحت إرهاب فكري أو نفسي يشعر من تأثيره بضعفه أو سقوطه أمام شخصية الطرف الآخر وذلك برفضه لكل مظاهر العظمة والافتخار والتعالي عند الطرف الآخر.

ويمكن رؤية هذا بوضوح في القرآن الكريم ومن خلال سيرة النبي ﷺ.

فالقرآن الكريم يعرض أمراً واضحاً في الحوار بين النبي ﷺ وبين الأطراف الأخرى التي يحاورها خلال مسيرة الدعوة وهذا الأمر يقول: إن الرسول الكريم ﷺ بشر مثل سائر البشر ولم يتفضل عليهم إلا بتلك الرسالة الربانية ومهمته التبليغ والتوضيح وحسب.

فبهذا العرض تزول كل مظاهر السيطرة أو التعالي أو عملية الاحتواء بسبب الصفات والألقاب أو الإيحاءات[1] التي قد تعرض من قبل الأطراف المتحاورة لأجل الهيمنة على الطرف المقابل.

وفي ذلك يقول الله تعالى موضحاً هذه النقطة: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ [**الكهف**: ١١٠].

وقوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [**الأعراف**: ١٨٨].

فالآيات واضحة في دلالاتها: إنها تشير إلى أن الرسول الكريم ﷺ لا يمكن أن يمارس هيمنة وسلطة وتكبراً على الذين يقوم بدعوتهم أو يحاورهم، بسبب أنه رسول الله تعالى بل توضح الآيات حقيقة الرسول أنه بشر ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً: (إنه بشر)، و(لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً).

---

(١) مثل ألقاب: البروفسور - الدكتور - الأستاذ العلامة - صاحب القداسة.

فإذا كان الرسول ﷺ يرفض ممارسة أي إرهاب فكري أو تخويف على الأطراف التي يدعوها للإسلام، لكي يترك لها الحرية والاستقلالية في التفكير، فمن باب أولى يجب أن تكون للمسلم الذي يحاور الآخرين هذه الحرية والاستقلالية في التفكير بعيداً عن هيمنة الألقاب والمناصب أو ما يسمى بالفارق الحضاري.

ثانياً- شخصية الطرف الآخر المحاوَر:

حيث يطلب أن توجد لديه الرغبة الواضحة في الوصول إلى الحق والاعتراف به إذا ظهر والإذعان له وكل ذلك خوفاً من تحول الحوار إلى نوع من الجدل العقيم الذي لا يراد منه إلا الجولات الكلامية التي لا تفيد.

ولذلك ركّز القرآن الكريم على رفض أمثال هؤلاء الذين لا يريدون الحق أو الوصول إليه ويعاندون الدليل إذا ظهر صوابه.

يقول الله تعالى: ﴿**وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ**﴾ [**الأنعام**: ٢٥].

فأمثال هؤلاء المعاندين لا يمكن الجلوس معهم على مائدة واحدة للحوار، لأنهم وإن عُرض عليهم الحق فلن يقبلوه، بسبب مكابرتهم، وحتى لو عَرضَوا مقدماً أنهم يريدون الأدلة الصحيحة على الأفكار المعروضة إلا أن طلبهم لهذه الأدلة لن يفيد بشيء فليست القضية طلباً للأدلة، أو عدم طلب لها، بل القضية فقدان الاستعداد للإيمان بالحق والإذعان له عند ظهوره.

ويأتي تصوير القرآن الكريم لهؤلاء واضحاً في قول الله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١٠٩].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١١١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢١].

ثالثاً- إيجاد المناخ الهادئ للتفكير المستقل:

أي الابتعاد عن كل المؤثرات الداخلية والخارجية وبخاصة الانفعالات التي قد يحملها أحد الأطراف تجاه الطرف الآخر.

فمثلاً كانت قريش عندما يعرض عليها الإسلام تبني كل أفكارها في الحوار مع النبي ﷺ على مؤثر وانفعال خاص بها، ولا تريد أن تتجاوزه أبداً، ألا وهو: أن النبي ﷺ الذي يدعوها إلى الإيمان هو بشر مثلها، وتنسى أهداف الدعوة وكل المبادئ التي تتقدم بها.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً﴾ [الإسراء: ٩٤].

وفي موضع آخر يطلب القرآن الكريم من الآخرين أن يتجردوا عن الجو الانفعالي في نظرتهم الأهوائية إلى الرسول ﷺ فقد اتهموه بالجنون وأصبحت هذه التهمة تسيطر على تفكيرهم فدعاهم القرآن الكريم إلى التجرد عن هذا كله ثم دعاهم إلى البحث العلمي والمنطقي في الرسالة السماوية.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

رابعاً- العلم بموضوعات الحوار:

إذ لا بد لطرفي الحوار من معرفة الموضوعات التي يريدون التحاور حولها لأن الجهل سيؤدي إلى المهاترات أو الشتائم، ليغطي كل طرف عجزه وجهله بالأفكار المعروضة.

وقد صوّر القرآن الكريم أولئك الذين يريدون الحوار دون علم بموضوعاته التي سيتحاورون فيها، في قول الله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

مبادئ الحوار الإسلامي مع غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة

إن مبادئ الحوار الإسلامي مع غير المسلمين في ضوء الكتاب والسنة تقوم على ما يلي:

المبدأ الأول: الدعوة إلى الله تعالى:

يقوم الحوار الإسلامي مع غير المسلمين ومشروعيته من الكتاب والسنة على مبدأ إسلامي واضح وهو مبدأ الدعوة إلى الله تعالى ودين الإسلام.

وتعد الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم الإسلام العامة والخاصة، إذاً فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام مع القريب والبعيد والعدو والصديق ومع كافة أصناف البشر ومختلف العقائد والتيارات الفكرية وسائر الملل والنحل.

والآيات التي تحدثت عن هذا المبدأ كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والمهمة الأولى في قضية الدعوة إلى الله تعالى هي: عرض الإسلام بجوهره الحقيقي وثوبه القشيب ووضوح رسالته وإبراز جماله وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية الخاصة والعامة وصلاحية تشريعه لكل زمان ومكان وأن رسالة الإسلام ما جاءت إلا لتسعد الإنسانية جمعاء وتوضح لهم سبل النجاة والأمن والاطمئنان والعيش بسلام ومحبة وإخاء، يقول الله تعالى عن

مهمة الرسول الكريم ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

المبدأ الثاني: سبيل الدعوة إلى الله تعالى هو الحكمة والموعظة الحسنة:

إن أي حوار يقوم بين طرفين لا بد وأن تكون له إحدى وجهتين:

- الوجهة الأولى: قيام الحوار على مبدأ العنف: وتقوم هذه الوجهة على مواجهة الخصم بأشد الكلمات وأقسى الأساليب ويتركز فيها العرض على التجريح والتنقيص وإحصاء الأخطاء والعثرات وأحياناً تصل إلى مرحلة الإهانة ولا مجال فيها لمراعاة الشعور والعواطف أو احترام العقائد والمقدسات بل تصبح المواجهة وكأنها تحدٍ صارخ للشعور الإنساني.

وهذه الوجهة لا تحتاج إلى تأكيد عدم جدواها بل هي على العكس تماماً ستولد المزيد من الأحقاد والبغضاء، وبُعد الشقة بين المتحاورين وعدم إمكانية التقريب بين وجهات النظر.

وما أروع القرآن الكريم حين نبه الرسول ﷺ إلى الحذر من هذه الوجهة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويأمر القرآن الكريم النبي ﷺ عندما يتوقف الحوار وتتعطل سبل الدعوة إلى الله تعالى، يأمره بالانسحاب الهادئ وإنهاء العلاقة بألطف العبارات وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

وقدر حذر النبي ﷺ من عرض الإسلام بشكل عنيف صاخب فقال: «يسروا ولا تعسروا وبشّروا ولا تنفروا»(١). وكانت هذه العبارة وصيته الدائمة ﷺ لمن كان يرسل من أصحابه في المهمات.

- الوجهة الثانية: قيام الحوار على مبدأ عدم العنف: أي الحوار الهادئ وهي الطريقة السليمة التي تعتمد على اللين والمحبة أساساً، ولذلك لا بد من

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/٢٤).

سلوك هذه الطريقة بالكلمات الطيبة المرنة التي تفتح القلوب على الحق وتقرب الأفكار إليه وتخاطب فطرة الإنسان ووجدانه بعيداً عن كل المعاني الشديدة والألفاظ القاسية.

وقوم هذه الوجهة على النقاط الآتي:

(أ) الحوار بالتي هي أحسن:

ويتضح ذلك من خلال الآيات الآتية:

١- قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [**فصلت**: ٣٣].

٢- وقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [**النحل**: ١٢٥].

٣- وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [**العنكبوت**: ٤٦].

فالتي هي أحسن: هي التعبير عن الحوار الهادئ والأسلوب السلمي.

وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [**فصلت**: ٣٤]. فقد جاء فيه تعبير السيئة وهو مبدأ العنف والحوار الصاخب والأسلوب الشديد.

وعندما يختار القرآن الكريم مبدأ الحوار الهادئ والأسلوب السلمي وطريقة اللين يشير إلى نتائج هذا المنهج وهي نتائج تكاد تكون خيالية إنها تحول العدو إلى صديق والمبغض إلى محب والبعيد إلى قريب.

وبهذا كله يتحقق للحوار هدفه وهو الوصول إلى الإيمان أو إلى أكبر قدر من الفهم المشترك في الأسس والأهداف.

والحوار بالتي هي أحسن يتمثل في اتباع أفضل الأساليب وأحسنها في إقناع الطرف الآخر بالفكرة التي يدور حولها الحوار بحيث يظل المسلم في بحث دائم عن الأساليب التي توصله إلى الطريقة الأفضل في موضوع (التي هي أحسن) سواء في المنهج أو الفكرة أو الأسلوب أو انتقاء العبارات.

(ب) اعتماد العقل والتفكير السليمَين:

يهدف القرآن الكريم إلى إبراز الحجة والبرهان والمنطق العلمي والعقلي ويتابع التسلسل المنطقي في كل فكرة يوردها ويدلل عليها.

وتقوم هذه النقطة على الأسس التالية:

١- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعاوى.

٢- إثبات صحة النقل في الأمور المروية المنقولة.

وهذا ما تشير إليه القاعدة التالية في منهج علماء المسلمين في بحثهم عن الحقيقة وهي: إن كنت ناقلاً فالصحة أو مدعياً فالدليل[١]. ولعل مثالاً واحداً يوضح هذه الفكرة، وهو قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [**آل عمران**: ٥٩].

فبكل عقلانية ومنطق سليمين يقول القرآن: إنكم يا من اتخذتم المسيح إلهاً من دون الله عز وجل لأنه قد خلق بمعجزة وهي كونه قد ولد من دون أب فإن آدم عليه السلام من قبله قد خلق من تراب، أي من دون أب أو أم - وأنتم تؤمنون بهذا- فلماذا لا يكون آدم إلهاً لكم أيضاً، بناء على المنطق نفسه الذي تسيرون عليه. مع أن معجزة آدم أعظم من معجزة المسيح، ولكن عيسى ليس إلا مثالاً كمثال آدم - عليهما السلام -.

(ج) التجرد عن الأحكام المسبقة:

وهذا هو الأسلوب العلمي الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة بين المتحاورين والتي تحول دون الوصول إلى الصواب وتشكل حاجزاً نفسياً يصعب اختراقه.

ومعنى التجرد عن الأحكام المسبقة الخاصة: وضع مبدأ الشك في كل شيء يعرض مبدئياً من قبل طرفي الحوار ويوحي مبدأ الشك هذا بضرورة أن يعيد كل طرف النظر في موقفه وأفكاره التي يحملها أي مراجعة الذات بما تحمله من أفكار ومبادئ.

---

(١) انظر: ضوابط المعرفة (٣٦٥) وما بعدها، وكبرى اليقينيات الكونية (ص ٣٤) وما بعدها.

فليس لدى أحد الفريقين حكم سابق مفروض على الطرف الآخر بأنه على الهدى أو على الضلال ويتضح هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [**سبأ** : ٢٤].

إذ ليس في أسلوب القرآن الكريم مبدأ : نحن على الحق والهدى، وغيرنا على الضلال. إذ لا يمكن أن يطلق هذا الحكم مقدماً قبل البحث والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان.

(د) مواجهة الطرف الآخر من خلال أفكاره:

أي على مبدأ : من فمك أدينك. وهذه النقطة تحث كل طرف على عرض كل أفكاره على ساحة الحوار ويحاول دعم وجودها بكل الأدلة والبراهين.

وهذا أمر لا يخيف الطرف المسلم مطلقاً بل يقول للطرف الآخر: هات ما عندك من أفكار وأبرز حقائقها وادعم سيرها فيصل بذلك إلى عملية تفريغ كاملة لكل أسلحة الطرف الآخر.

ثم يعرض المسلم ما لديه من أفكار ويقول: هذا هو الحق الذي نؤمن به وهذا هو الهدى الذي نتبعه فإن كان لديكم - يخاطب الطرف الآخر- طريق أفضل أو عقيدة أصح فنحن على استعداد لقبولها وتلقيها.

وقد جاء هذا واضحاً في قوله تعالى: ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [**القصص** : ٤٩].

(هـ) عدم إثارة الطرف الآخر:

وهو مبدأ مهم جداً لأن الإثارة تولد انفعالاً ومع هذا الانفعال سينحرف الحوار عن منهجه فيؤدي ذلك إلى قطع كل الحبائل التي يمكن أن تقرب بين وجهات نظر الطرفين، ويعتمد هذا المبدأ على قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [**الأنعام** : ١٠٨].

فهذه الآية فيها نهي للمؤمنين عن شتم وسب آلهة المشركين وهي المعبودات الباطلة لأنهم إذا شتموها نفّروا المشركين أكثر وزادوهم بعداً عن الإيمان.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**قال كفار قريش لأبي طالب: إما أن تنهى محمداً وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما أن نسب إلهه ونهجوه**»(١).

وقد قال العلماء عن هذه الآية الكريمة: «وحكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في مَنَعة، وخيف أن يسب الإسلام أو النبي ﷺ أو الله عز وجل فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم ولا دينهم ولا كنائسهم ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك لأنه بمنزلة البعث على المعصية»(٢).

المبدأ الثالث: عدم الإكراه مطلقاً:

من خلال عملية الحوار لا يحق لطرف أن يمارس الإجبار أو الضغط على الطرف الآخر أو أن يستخدم الإرهاب الفكري أو المادي ليحوله إلى معتقده أي يجب أن يكون سير الحوار ضمن حرية فكرية واضحة وهذا ما تشير إليه الآيات التالية:

١- قال الله تعالى: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٦].

٢- وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [**يونس**: ٩٩].

٣- وقوله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [**الكهف**: ٢٩].

٤- وقوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾**﴾ [**الغاشية**].

وسبب نزول الآية الأولى: (لا إكراه في الدين) أن أهل يثرب كانوا قبل الإسلام ينذرون: إن رزقوا بأولاد أن ينصروهم أو يهودهم فلما أجليت بنو النضير أراد بعض الصحابة أن يجبروا أولادهم على ترك اليهودية، والالتحاق بالمسلمين فنزلت الآية(٣).

---

(١) انظر لباب النقول في أسباب النزول ص١١٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦١/٧).
(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٨٠/٣)، وتفسير القرآن العظيم (٣١٠/١).

وروى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول لعجوز نصرانية: «أسلمي، أيتها العجوز، تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق». قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت إليّ أقرب! فقال عمر: «اللهم اشهد». وتلا قوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦](١).

المبدأ الرابع: مبدأ الإعراض والصبر والتحمل:

ويأتي هذا المبدأ عندما لا توجد نتيجة واضحة للحوار، فلا بد حينئذ من الإعراض بمعنى عدم متابعة الحوار حيث إنه يصبح جدلاً عقيماً فيجب ألا ينزل المسلم عن أهدافه وأسلوبه في الحوار ويعامل الطرف الآخر معاملة المثل، إذ قد لا يتورع الطرف الآخر عن الطعن والتشويه للإسلام وعقيدته والنيل من عظم رسالته وسموها والإساءة إلى نبيه ﷺ فلا يمكن مقابلة هذه الأخطاء بالطعن في أديان الآخرين والإساءة إلى أنبيائهم عليهم السلام، والتنقيص منهم فهذا هو المقصود من مبدأ الإعراض والصبر والتحمل.

والآيات التي تتحدث عن هذا المبدأ كثيرة منها:

١- قول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]. فهنا أمر واضح بالإعراض عن الخوض مع أولئك الذين يريدون الانحراف عن الحق إلى غيره، وطالب أيضاً بالصفح عنهم.

٢- وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩].

٣- وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٢٠].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٨٠).

٤- وقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

٥- ولعل سورة (الكافرون) توضح هذه الفكرة بكل صراحة، وهي التي تسمي السورة الفاصلة يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].

المبدأ الخامس: مبدأ التعايش السلمي:

ويعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين وهي مرحلة التعايش السلمي وعدم تعرض كل طرف لمقدسات ومعتقدات الطرف الآخر.

والإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان وذلك عندما لا يجدي الحوار في أمور العقيدة وحتى لا يتحول الحوار إلى جدال متوتر ينسف كل أجواء التعايش من أساسها.

والقرآن الكريم واضح صريح في هذه النقطة حيث يبين أنه لا حرج على المسلم أن يحيا التعايش السلمي بينه وبين أي إنسان مخالف له في دينه ومعتقده ولم يظاهر الطرف الآخر على المسلم بالعداوة والتحريض أو الإساءة والخيانة وهذا التعايش السلمي قائم على أساس من العدل والإحسان يقول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨](١).

ويبدو هذا المبدأ واضحاً في تطبيقات النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران، حين وصل الحوار إلى طريق مسدود وتوقفت القدرة على الحوار عند ذلك تحول الرسول ﷺ إلى مبدأ التعايش السلمي ووضع مبادئ العيش المشترك

---

(١) انظر سبب النزول: لباب النقول (ص٢٩١) وصحيح البخاري (٢/٩٥).

من خلال معاهدته مع وفد نصارى نجران[1].

وقبل ختم الكلام لا بد من الإشارة إلى بعض الملاحظات المهمة حول مبادئ الحوار الإسلامي مع غير المسلمين، وهي:

١- إن المبدأ الرابع للحوار مع غير المسلمين وهو مبدأ الصبر والإعراض والتحمل لا يعني مطلقاً ترك الدعوة إلى الله تعالى أو إيقاف عملية عرض الإسلام وإبراز جماله والحث على الإيمان به، والتبشير بمعتقداته بين صفوف جميع أتباع الأديان والمعتقدات الأخرى وبشتى الوسائل ومختلف الطرق.

وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الشورى].

٢- إن مبادئ الحوار الإسلامي مع غير المسلمين هذه كلها لا تعني مطلقاً أن تتوقف عملية الدفاع عن الإسلام ومحاربة الشبه والافتراءات التي يطلقها الطرف الآخر في كل فترة من الفترات وبعدة أشكال وبخاصة تلك الافتراءات التي تمس جوهر الإسلام وعقيدته وتسيء إلى نبيه ﷺ وإلى أحكامه وشرائعه.

٣- في حال رفض الطرف الآخر لكل أشكال الحوار وظهور عدم رغبته في التعايش السلمي وفي حال اندفاعه إلى محاربة الدعوة الإسلامية والحد من انتشارها والسعي إلى تدميرها بحيث تتحول تلك الافتراءات إلى منهج كامل له، أي يسير الطرف الآخر في طريق العداء الصريح للإسلام والمسلمين ظاهراً وباطناً فعند وجود مثل هذه الحال لابد من الوقوف

---

(١) انظر نص المعاهدة: الخراج لأبي يوسف (ص٧٨).

بحزم في وجه هذه الأخطاء كلها وتوقيفها عند حدودها وذلك بالتأديب الذي قد يصل إلى مرحلة القتال فيكون القتال عندها واجباً شرعياً للدفاع عن العقيدة وحرمات الدين أي تكون الحرب في تلك الحال حرباً دفاعية وقائية دفاعا عن الدين ووقاية للدعوة من التوقف والانهزام .

وإلى هذا تشير الآية الكريمة في قول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

أهداف الحوار الإسلامي مع غير المسلمين

ويمكن تلخيص أهم هذه الأهداف فيما يلي:

أولاً- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين هو في الحقيقة تطبيق لمبدأ جهاد الدعوة إلى الله تعالى، لأن جهاد السيف قد توقف منذ أمد بعيد لنشر الإسلام في بقاع الأرض والبديل الوحيد - حالياً - عن نشر العقيدة الإسلامية بالجهاد، هو الدعوة إلى الله تعالى باللسان والقلم.

والحوار هو مجال عظيم، ومناخ مناسب يمكن للمسلمين أن يستفيدوا منه بكل حرية لتحقيق أحد فرائض دينهم الحنيف، وهو الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

ثانياً- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة يمكن للمسلمين أن يستخدموها في البلاد والمناطق الإسلامية التي تواجه هجمات تنصيرية وحملات تبشرية تجند لها أضخم الإمكانيات المادية والمعنوية من قبل الكنيسة في العالم، لتحويل المسلمين عن دينهم.

فيأتي الحوار لدعم المسلمين معنوياً تجاه هذه الحملات الشرسة حيث تظهر حقيقة المسيحية الزائفة التي تبشر بها الكنيسة بين المسلمين فيكون ذلك عاملاً مهماً وأساسياً يعطي للمسلمين ثقة أكبر بدينهم ووعياً أوسع بما يخطط لهم وتنهار بذلك تلك الجهود التنصيرية.

ثالثاً- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة ليلتقي المسلمون

وغير المسلمين الذين يعيشون في بلد واحد لأجل جمع الكلمة وتوحيد الصفوف لمواجهة عدو مشترك يهدد المسلمين وغير المسلمين في ذلك البلد على السواء.

رابعاً- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة لمنع حدوث الفتن الطائفية، التي يمكنها أن تمزق كيان الأمة الواحد، التي يعيش فيها المسلمون وغير المسلمين، حيث تستغل بعض الجهات الخارجية هذا الواقع، لبث بذور الفتن والشقاق والتناحر، بين أبناء الوطن الواحد، بحجة هذا مسلم وهذا غير مسلم، الأمر الذي يؤدي إلى تقسيم ذلك الوطن إلى دويلات متفرقة، أو يؤدي إلى حروب داخلية متواصلة كما حدث في لبنان الذي عاش خمس عشرة سنة (١٩٧٥-١٩٩٠م) داخل لهيب ودمار هذه الحروب.

وهنا لابد من الإشارة إلى ملاحظة مهمة وهي: أنه إذا فكر بعض المسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين إذ فكر هؤلاء في بعض الأوقات بطلب الحماية لأنفسهم من قبل الدول الأجنبية عنهم، بحجة الخوف على مصيرهم وحقوقهم بين المسلمين.

فإن هذا التفكير خاطئ ومنحرف حيث أثبتت التجارب والوقائع التاريخية أن المسيحيين الذين يعيشون مع المسلمين في بلادهم لا سند لهم مطلقاً ولا حماية لحقوقهم ولا تأمين لمصيرهم إلا من قبل المسلمين.

والسبب في ذلك هو أن المسلمين عندما يدافعون عن المسيحيين في بلادهم ويحمونهم من شتى الأخطار إنما يفعلون ذلك بدافع ديني منهم، وفرض شرعي عليهم، نابع عن عقيدة راسخة بأن المسيحيين معهم إنما هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ على حين أن الدول الأجنبية التي تدّعي أنها تريد حماية المسيحيين في بلاد المسلمين إنما تفعل ذلك بدوافع استعمارية ولأجل مصالح سياسية واقتصادية وغيرها.

وقد وعى المسيحيون في البلاد الإسلامية هذه الحقيقة وفهموها حق الفهم فمن ذلك الوعي على سبيل المثال أنه عندما دخلت فرنسة إلى بلاد

الشام مستعمرة لها في عام (١٩٢٠م) وأوجدت دولة سورية ودولة لبنان وكل ذلك بحجة وادعاء حماية الأقليات المسيحية في بلاد الشام وقف (فارس الخوري) وهو من أكبر رجال الفكر والسياسة المسيحيين آنذاك في سورية وقف في جامع بني أمية الكبير في دمشق ضمن احتفال أقامه المسلمون ضد الوجود الفرنسي وخطب قائلاً: «إن مبرر وجود فرنسة في هذه البلاد هو حماية النصارى أنا نائب النصارى فارس الخوري أطلب الحماية منكم أيها المسلمون وأرفضها من فرنسة»(١).

وقد جاء في كتاب (من يحمي المسيحيين العرب؟) وهو دراسة وتحليل تاريخي وواقعي، حتى عام (١٩٨٥م) إثبات من قبل الكاتب - وهو المسيحي الماروني- أنه لا يمكن أن تأتي دول أوربة الغربية باسم المسيحية لحماية المسيحيين في بلاد المسلمين التي يعيش فيها المسيحيون، ولا يمكن - لما يسمى دولة إسرائيل- أن تدعي أنها دخلت لبنان عام ١٩٨٢م بحجة حماية المسيحيين فيها.

وإنما الحماية الحقيقية للمسيحيين في البلاد العربية هي اتجاه المسيحيين للتلاحم والتفاهم مع المسلمين في هذه البلاد ليتابعوا سوية المسيرة التاريخية الرائعة في التآخي الإنساني والتعايش السلمي، الذي سجله المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد عبر العصور التاريخية المتوالية(٢).

خامساً- الحوار الإسلامي مع غير المسلمين يمكن توجيهه لإظهار الحقائق المتمثلة في الدين الإسلامي الحنيف ومحو الصورة المشوهة له عند غير المسلمين ومواجهة كل الافتراءات والادعاءات والتشويهات الباطلة التي ألحقها أعداء الإسلام به.

وبهدف عرض قدرة الإسلام على مواكبة كل تطورات العصر الحديث

---

(١) المسيحيون العرب (ندوة) ص٣١.

(٢) انظر كتاب: من يحمي المسيحيين العرب؟ تأليف: فيكتور سحاب.

وتقديمه للحلول المناسبة لكل المشاكل والمآزق التي تواجه البشرية حالياً في شتى مجالات الحياة الإنسانية.

وقبل الختام لا بد من تسجيل التوضيح الآتي: وهو أن تكون الحوارات المتعلقة بالجوانب العقائدية والتشريعية محصورة بين المتخصصين والباحثين من كلا الطرفين الإسلامي وغير الإسلامي.

والأولى الذي نميل إليه أن لا تكون موضوعات الحوار موضوعاتٍ جدليةً عقدية عقيمة، يتشدد كل جانب فيها لمعتقده وتفتح الأبواب واسعةً أمام تعصبات البسطاء من الناس فلربما يؤدي ذلك إلى غوغائية وسطحية لا تحمد عقباها.

إن المسلمين وغير المسلمين ممن يعيشون في بلد واحد مدعوون اليوم وخاصة في العالم الثالث وبالخصوص في العالَمين العربي والإسلامي، مدعوون إلى حوار هادئ هادف للعيش المشترك فلدينا من المشاكل والأخطار ما يحيق بالجميع ولا يفرق بين مسلم وغير مسلم، لدينا عدو مشترك يريد اجتثاث جذورنا وتاريخنا وتراثنا ودیننا وقذائف هؤلاء الأعداء وصواريخه عندما تسقط لا تفرق بيننا فهذا الهدف والموضوع هو الفائدة الأولى في حوارنا: (كيف نواجه الخطر الأكبر: الصهيونية العالمية والصليبية الغربية وقوى الطغيان والعولمة).

وهنا أحب أن أورد كلاماً للشيخ بهجة البيطار الدمشقي رحمه الله حيث يقول: «كنت أدعو إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين... لأننا ننشد من ورائه الخير العميم لهذه البشرية المهددة بالفناء بما أحدثت المدنية المادية في الشرق والغرب من القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرهما وإن الحرب إذا وقعت - لا قدر الله - يكون وقودها هذا العالم المعذَب وتكون من ورائها النهاية الأخيرة لعالمنا هذا وإن أول عمل يدعونا إليه الواجب الإنساني الخالص، هو نصرة الضعفاء والمظلومين في الأرض وهذا لايتم إلا بالتضامن

والتعاون بين أهل الملل السماوية»[1].

نعم هناك تحديات تواجهنا جميعاً مسلمين وغير مسلمين كالفساد الأخلاقي وانفكاك عرى الأسر، ومؤسسةُ الزواج لدى المسلمين وغير المسلمين يخشى عليها من الذوبان أو التضعضع، يجب أن يسعى الجميع لمواجهته، والأمراض الجنسية تفتك هنا وهناك ونحن لدينا في أسرنا المسلمة وكافة الأسر الشريفة في العالم حصانة جيدة ضدها فيجب أن نحافظ على هذه الحصانة؟!...

إن المخدرات بكل أصنافها تريد ابتلاع شبابنا وشاباتنا في طوفان عجيب فأين ندوات الحوار الإسلامي مع غير المسلمين لمواجهتها؟!...

إن هناك موضوعات أخرى تهمنا جميعاً كالحفاظ على البيئة - ومكافحة البطالة - والفقر - والجهل - والفتن الطائفية - وحروب الإبادة والتطهير العرقي...

إن الوافد الجديد باسم العولمة يريد اجتثاث جذور الجميع غير آبه بمئذنة مسجد، أو برج كنيسة، أو محراب مذبح.

إننا مهددون في بنيتنا الأخلاقية سواء في البيت المسلم أو في البيت غير المسلم، فأمهات فضائل الأخلاق التي تدعو إليها الأديان والتي يدعو إليها الإسلام تحتاج إلى إعادة بناء وتأصيل في نفوس أجيالنا الصاعدة كالصدق والأمانة والوفاء بالعهد وحب الآخرين والإيثار والتواضع وغيرها.

إن ما سبق هو أقل فوائد الحوار التي تفيد المسلمين وغير المسلمين.

وللبيان أيضاً هناك تطرف إسلامي إسلامي / ومسيحي مسيحي/ وإسلامي مسيحي / ومسيحي إسلامي وغيره/ وهو خطير على الوسطية والاعتدال التي يحياها عقلاء المسلمين والمسيحيين وغيرهم ويدعو إليها القادة الواعون للجانبين وهذا يحتاج إلى ندوات حوارية لبحث أسبابه وطرق علاجه ومواجهته.

---

(١) انظر: الإنجيل والقرآن في كفي الميزان ص٢٣.

تلك هي الرسالة التي أحببت أن أوصلها إلى الناس عامة والمسلمين خاصة من خلال هذه المحاضرة آملاً أن أكون قد وفقت لذلك.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع حسب ورودها في البحث

١- لسان العرب، ابن منظور المصري.

٢- سنن الترمذي.

٣- الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك.

٤- أبجد العلوم، صديق قنوجي.

٥- صحيح البخاري.

٦- القاموس المحيط، الفيروز آبادي.

٧- التعريفات، الجرجاني.

٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، فؤاد عبد الباقي.

٩- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي.

١٠- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي.

١١- سيدنا محمد رسول الله ﷺ، عبد الله سراج الدين.

١٢- ضوابط المعرفة، عبد الرحمن حبنكة.

١٣- كبرى اليقينات الكونية، محمد سعيد رمضان البوطي.

١٤- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي.

١٥- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي.

١٦- الخراج، أبو يوسف القاضي.

١٧- المسيحيون العرب، ندوة، مؤسسة الأبحاث العربية.

١٨- من يحمي المسيحيين العرب؟ ، فيكتور سحاب.

١٩- الإنجيل والقرآن في كفتي الميزان، بهجة البيطار.

صفحة أبيض